الكتب

فى سنن الله الكونية

تأليف الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

عرض وتعليق — رجاء الى لجنة ترجمة معانى القرآن الكريم —

واجب علمائنا الطبيعيين

للأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل حضرة الأستاذ الجليل العالم المؤمن محمد أحمد الغمراوى المدرس بكلية الطب بالجامعة المصرية والمنتدب للتدريس بكلية أصول الدين من الجامعة الأزهرية فأهدى إلى نسخة من كتابه الحديث « فى سنن الله الكونية » فقلبت عينى فيه بشوق الذى يعرف علم الأستاذ بالطبيعة وفقهه فى الدين ، لأنى واحد من تلاميذ محاضراته ومحادثاته فى العلم والدين فى نادى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ، تلك المحاضرات التى كان لها كبير الأثر فى أنى صرت « آخذ الاسلام بروح العلم وآخذ العلم بروح الاسلام » كما يجب أن يكون وكما حققه هو فى كتابه القيم ، اتباعا لمنهاج القرآن وتلبية لدعوته العقول إلى الطبيعة

والكتاب فى العلوم الطبيعية ، وقد درسه الأستاذ لطلاب قسم الوعظ والارشاد بالأزهر ، وقد وازنته بما درسته فى دور التعليم وما قرأته فى المجلات العلمية من جهة مافيه من مادة العلم الطبيعى فقط ، وأؤكد للقارىء الكريم أننى خرجت منه بأشياء جديدة كثيرة ماعثرت عليها فى غيره على كثرة ماقرأت من هذه البحوث التى أحبها لأنها تصلنى بالحياة وقوانينها وسيرها بالأحياء ، فى عبارة سهلة مشرقة محبوكة ، لأن المؤلف فوق أنه عالم طبيعى كبير ، هو أديب ضليع ومنطقى يقظ لكل ما يدور حول ما يكتبه . يشهد له بذلك كتاب « النقد التحليلى لكتاب (فى الشعر الجاهلى) للدكتور طه حسين بك » الذى بين به أن له قلما سابقا فى الآداب كسبقه فى العلم . « وفى سنن الله الكونية » يقع فى ٢٢٢ صفحة عدا الفهارس وهو مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب : الأول فى العلم والدين ، والثانى فى المادة وأصلها وخواصها وأحوالها وأنواعها وتغيراتها . . . الخ ، والثالث فى الطاقة وأبحاثها وآثارها . . . الخ

وأنت واجد فى المقدمة إهابة بالمسلمين ومعاهد الدراسة الاسلامية ألا يغفلوا مباحث الفطرة وعلوم سنن الحياة لأن العلم بها جزء من العلم بدينهم وأصل من أصول قرآنهم الذى يتحدث بخمس آياته عن الطبيعة والنظر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وكيف بدأ الخلق . . . وأن يعلموا أن رجل الدين لايسيغ العلم إلا إذا قدم له بروح الدين ، ورجل العلم لا يسيغ الدين إلا إذا قدم له بروح العلم ، وهى حقيقة نفسية يجب أن يلتفت إليها . وفى التمهيد بحث قيم عن موضوع العلوم الطبيعية وأثر دراستها فى الوصول إلى فاطر الخلق والتوحيد بها بين العقل والقلب والعلم والعبادة .

أما الباب الأول فهو بحث جديد قيم عن العلم والدين ، جدير بأن يترجم إلى المجامع العلمية ، وأن يدرس فى المعاهد الاسلامية ، لان الأستاذ استطاع أن يبين بوضوح قرآنية اسم « العلم » بمعناه المحدود العصرى ، وقرآنية « موضوعه » وقرآنية « طريقته » ففتح بذلك فتحا جديدا « لعلم الكلام » الذى يجب أن يكون فى هذا العصر بعيدا عن منهج النظار والمتكلمين القدماء الذين كانوا يعتمدون على « تجريدات » الفلسفة اليونانية

إن قوانين العلم التى استخرجها الأستاذ من القرآن الكريم شىء ثمين جداً سيكون له أثر عظيم فى تطور الفلسفة الدينية ، وفى لفت الأنظار إلى القرآن الذى أتى بذلك قبل أن يأتى به فلاسفة العلم المحدثون بأحقاب وأزمان ! فالبرهان للاثبات ، والحذر من تطرق الظنى إلى اليقينى ، والغرضى إلى الظنى ، ومنع الخلط بين الأشخاص فى المبادىء ، ومنع التقاليد ، وتحكيم العقل العام ثم قانونا توافق واطراد الفطرة ، ثم اعتبار أصل المشاهدة واستعمال الحواس ، كل أولئك استطاع أن يتبسط فيه الأستاذ المؤلف بالشرح والبيان وأن يستخرج مستنداته من القرآن الكريم ، وأن يحكم حبكة علمية باخراج فنى أخاذ

وأضف إلى ذلك أنه عقد مقارنة بين العلم القديم والعلم الحديث بين فيها كثيراً من أغلاط العلم القديم التى جره إليها طريقته وافتراضاته . وقد وقع بعض المسلمين فى خطأ كبير وإثم عظيم باعتمادهم على ذلك الأسلوب الفرضى حتى لقد بلغ بهم

الأمر أن كانوا يردون القرآن إليه مع أن منهاج القرآن فى طرق الاثبات والاستدلال واضح بينهم ينكر عليهم الشرود والوهم ، ثم عقد الأستاذ فصلا بين فيه أدوار النظر العلمى من جمع الحقائق بالتجربة والمشاهدة ، ثم استخراج القانون ، وبين طرق اكتشاف قوانين الفطرة بالاستقراء والتلمس ، ثم ضرب مثلين يوضحان طريقة التلمس ، وختم هذا الباب القيم بهذا الكلام البديع : « إن هذه الحقائق الطبيعية التى يكشف عنها العلم يحوثه إن هى إلا نوع من كلام الله أو هى كلمات الله الواقعة النافذة كما أن آيات القرآن هى كلمات الله الصادقة المنزلة . وقد سمى القرآن حقائق أسرار الخلق كلمات الله فى مثل قوله تعالى : « ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » ـ (لقمان) « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » (الكهف) . وكلمات الله فى هاتين الآيتين الكريمتين لا يمكن أن تكون كلماته المنزلة على رسله لأن كلماته سبحانه فى كتبه المنزلة محصورة محدودة فى حين أن كلماته المشار إليها فى هاتين الآيتين لا حصر لها ولا نهاية . فلابد أن تكون هى كلماته النافذة فى خلقه والتى يبدو أثرها متجسما فيما نشاهد من الحوادث وفيما يكشف العلم من أسرار الكون . فالاسلام متسع للعلم كله حقائقه وفروضه ؛ والمجتهد مثاب أخطأ أم أصاب ما دام يريد وجه الحق ، وإن كان العلم لا يعرف إلى الآن أن سبيل الحق من سبيل الله »

* * *

أما بابا « المادة والطاقة » ففيهما يعرض الأستاذ المباحث الطبيعية عرض المطلع عليها فى مراجع العلم القديم والحديث ، وفيهما مواقف ناجحة فى تطبيق بعض الآيات الكونية فى القرآن على حقائق العلم مما يضيف ثروة جديدة لنواحى إعجاز القرآن تمتلىء بها عقول الدعاة والوعاظ ؛ ففى مباحث الجاذبية والأثير والظواهر الجوية والتمثيل الخضرى والضوء والظل والفىء حقائق أشار إليها القرآن يجدر بكل مسلم أن يعرفها ويجدر بلجنة ترجمة معانى القرآن أن تنتفع بها ، فلا تقف عند ما كان يفهمه منها العرب الذين أنزل عليهم كما اشارت إلى ذلك فيما وضعته من القواعد الأولية التى تسير عليها فى الترجمة ، فان القرآن ليس كتاب جيل واحد ؛ ولنا أن نفهم منه غير ما كانوا يفهمون وبخاصة الآيات الكونية التى لم يكن عليهم ولا علم البشرية ليساعدهم على فهمها كما نفهمها نحن الآن . ولذلك كان القرآن يقول لهم « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وإن فى وقوف الأستاذ المؤلف وهو عالم بقوانين الضوء والظل وفى القرن العشرين من قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا » ومن قوله « ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً » وقفة العالم أمام حقيقة لاتزال مخبأة . . لشاهداً قائماً على أن فى القرآن آيات لم تكن نازلة للجيل الذى شهد نزولها ، فلا يصح أن تحاكم نحن إلى فهمهم فيها مادام الزمن (أكبر مفسر للقرآن كما قال الشيخ حسن الطويل أستاذ الامام محمد عبده) قد أرانا يسير العلم وجها آخر يحتمله اللفظ ولا يأباه الأسلوب العربى

ولا يضر القرآن شيئا أن تتغير الأوجه العلمية التى يفسر بها كل جيل آياته ، مادامت نصوصه هو ثابتة . وما دام كل جيل يجد فيه ما يرضيه ، فان ذلك من أسرار إعجازه ومن عجائبه ، فاذا فهمنا نحن مثلا معنى اللقاح من قوله تعالى « وأرسلنا الرياح لواقح » على أنه تلاقح كهربائى بين الموجب والسالب فى السحاب كما فسر الأستاذ الغمراوى . وفهمنا سر الاستدلال على البعث من قوله تعالى « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » كما بينه الأستاذ فأعتقد أنه لايضر القرآن أن فهم من قبلنا فى هذين الموضعين وغيرهما وأن يفهم من بعدنا غير ما فهم نحن الآن . على أن الوجه العلمى متى صار حقيقة دخلت فى صف الميراث العلمى الثابت ، فحتوم على المفسرين أن يأخذوا به ، كما يتحتم عليهم أن يؤولوا النص القطعى إذا لم يتفق ظاهره مع ما يلزمه العقل كتقرير القاعدة الأصولية .

* * *

وبعد فقد قرأت فى مجلة الهلال عدد مارس سنة ١٩٣٧ قبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الغمراوى ثلاث مقالات عن الذات الالهية لثلاثة من كبار علمائنا الطبيعيين هم : الدكتور على توفيق شوشة بك مدير معامل وزارة الصحة ، والدكتور أحمد زكى بك مراقب مصلحة الكيمياء . والدكتور محمد ولى الاستاذ بكلية العلوم ، فاذا بالدكتور شوشه بك يقول : إذا كان هناك أناس أحق بمعرفة الله ودرك عظمته والاقرار بوحدانيته فهم العلماء ، ذلك لأنهم أكثر خلق الله اتصالا بالطبيعة وأقربهم إلى لمس غوامضها ثم يقول : إننى كلما جلست إلى المكرسكوب أو انصرفت إلى التجارب فى معملى لم أزدد إلا خشوعا أمام تلك القدرة الالهية »

وإذا بالدكتور زكى بك يقول فى آخر مقاله الطويل الممتع كأنه قصيدة ، المطرب كأنه ترتيلة، المثبت لوحدانية الله بأسلوب عجيب. « وبعد فتسألوننى : ما صورة الله ؟ تلك هى صورته : تلك المشيئة الهائلة العاملة التى لا تنام ولا تغفل ، تلك الارادة الواحدة التى تنتظم العالم جميعا ما عرفنا منه وما لم نعرف ، تلك البصيرة النافذة فى كل شىء ، الشاملة لكل شىء ، التى هى ملء الأرض والسموات التى أنا وأنت من بعضها ، تلك الوحدانية الشائعة الجبارة الغامضة ، هى الصورة التى شاء الله أن نراها منه »

وإذا بالدكتور ولى يقول « هنالك يشعر الباحث الذى لم يتحيز إلى أى مذهب فلسفى والذى جرد نفسه من المؤثرات التى انكبت عليه أن هنالك سلطة وأن هنالك قدرة فوق كل هذه المحاولات ، وتنزهت عن كل هذه الصفات التى تعودها فى أثناء بحثه واستقرائه ، إلى أن يقول : « فالله هو هذه القدرة الباهرة التى تجردت عن الماديات وتنزهت عن كل ما هو مألوف للحواس »

قرأت هذا ثم قرأت كتاب الأستاذ الغمراوى الذى هو حجة من حجج إيمان العلماء ، فاذا بى فى عجب وأسف من أمر هؤلاء الذين لم يعرفوا من العلم إلا قشوره وزيوفه وهم مع ذلك قد نصبوا أنفسهم دعاة للالحاد وإنكار الله استنادا إلى العلم ! هؤلاء أكثرهم من الأدباء طالبى الشهرة الذين يغرهم ما « يصنعونه » من الألفاظ ويخيل اليهم غرورهم وفتنتهم بما يقولون أنهم متى صنعوا جملة من الألفاظ فان نواكب الزمان ستقف عن المسير ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، لأن أقلامهم هذه معاول فيما يخيل إليهم ، إذا ما أعملوها فى أهول الحقائق وأعظمها وأملئها للكون ألا وهى « فكرة الله » فان ذلك سيجعل البشرية تستجيب إليهم تاركة ما فى طبيعتها وما تنادى به الأكوان والأزمان من الايمان !

أجل إن أقلامهم معاول ولكنها لاتهدم إلا ضمير الجاهل أو طالب اللذة الذى يريد أن يتحلل من قيود هذه الفكرة ، ومن رقابتها .

فهل آن الأوان لأن يجرد علماء الطبيعة - لا علماء الدين - حملة تدعو إلى الايمان بالله عن طريق العلم ، حتى يدحضوا بها حجج أدعياء العلم والفلسفة ممن هم فى الواقع أعداء الجماعة وأنصار فوضى الضمائر والأوضاع كالشيوعيين الذين يحاربون الايمان بالله لأنه فى زعمهم منشأ الأوتوقراطية فيجب أن ينزلوه - تعالى عما يصفون - عن عرشه ، كما أنزلوا القياصرة والملكين !

إنى أعتقد أن ذلك من أوجب الواجبات على علماء الطبيعة الذين يعرفون الله أكثر من غيرهم والذين ماغرر بالناس إلا من طريق الانتساب إليهم . ولن يغنى البشرية شيئا انتفاعها المادى من علوم الطبيعة مادامت لاترى اليد الجبارة التى تدير قوانينها ، ولاتسجد لها طوعا كما تسجد كرها . وها نحن أولاء نرى الانسانية تستحيل إلى قطعان من الحيوان لها من العلم الطبيعى سلاح لاتلطف وقعه تلك الفكرة الرحيمة التى تستمدها الضمائر من « رحمان » ولا يصده خوف من « جبار » ، ولا يمنعه خشية « من قيوم » على السموات والأرض ، « ديان » للخلائق !

وإذا كان علماء الطبيعة من غير المسلمين لايعترفون بإله معابدهم لأن له صورة غير صورة الإله الذى يجدون يده فى الطبيعة فهم لذلك بعيدون عن محيط الدعوة إلى الايمان والدين . . . فان من حسن الحظ فى الاسلام أن إله الطبيعة الذى وصل إلى الايمان به علماؤنا عن طريق الطبيعة . . . هو ذاته « الله » كما يصفه القرآن الكريم الذى ماجد الطبيعة وظواهرها وما دعا إلى تعرف أسرارها كتاب مثل مادعا . . . بل لقد بلغ من اعتزازه بها أنه لم يترك ظاهرة من ظواهرها إلا أقسم بها . . . فأقسم بالزمان والمكان والحيوان والنفس والفجر ، والضحى والليل والنهار والشمس والقمر والرياح والنجم والشفق . . . إلى آخر ما فى الدنيا من ظواهر الخلق والأمر . . . أفلا يجب بعد هذا أن يبين علماء الطبيعة المسلمون أسرار هذه الاقسام ؟ بلى إن ذلك من أمانة العلم قبل أمانة الدين

(بغداد) عبد المنعم خلاف

مرض البول السكرى

نصيحة من مريض (الله تعالى) إلى المرضى

مرضت بالبول السكرى والتجأت الى كل الطرق فلم أستفد سوى استفادة مؤقتة تزول بزوال العلاج إلى أن وفقنى الله تعالى إلى بعض أنواع بذور للنباتات لم أجدها الا بمحل عطارة محمد طاهر الصاوى بوكالة أبو زيد بالحمزاوى بمصر تليفون ٥٢٥٢٠ ولم يكلفنى ثمنها سوى مبلغ عشرة قروش صاغ . وباستعمالها مدة أربعة أسابيع كانت النتيجة مرضت جدا ... فقد ظهر من نتيجة التحليل أن البول طبيعى بعد أن كان بنسبة ٥٥ فى الألف .

لذلك أعتبر على نفسى عهدا أن أنصح بها المرضى وأعتقد أن المحل المذكور لا يتأخر عن إرسالها لكل مريض خدمة للانسانية متى أرسل إليه قيمة الثمن المذكور

أحمد كمال .